اسم المقرر : تاريخ الأدب فى عصرى صدر الإسلام وبنى أمية . الفصل الدراسى الأول . العام الجامعى ٢٠٠٨/٢٠٠٩م

الإجابة النموزجية لأسئلة المجموعة الأولى

للدكتور محمد مصطفى منصور

■ المجموعة الأولى : (مجموع الدرجات : ٦) .

تكلم _ مع ضرورة الاستشهاد _ عن ملمحين فقط من ملامح الأداء الخطابى الفنى فى كلٍّ من :

١. سورة الأنعام (الآيات ٣٣ - ٥٩). (درجتان) .

٢. خطبة الوداع . (درجتان) .

٣. إحدى خطب أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه . (درجتان) .

(تنبيه : لايُعتَدُّ بالإجابة التى تُغْفِلُ الشواهدَ) .

.....

أولًا : ما يتعلق بآيات سورة الأنعام ، يختار الطالب ملمحين من الملامح السبعة الآتية :

١. معاناة الرسول _صلى الله عليه وسلم_ مع الكافرين .

٢. التسرية عن النبى صلى الله عليه وسلم .

٣. تنوع طرق التربية وتدرج وسائل العقاب .

٤. الصلة بين وسائل الإدراك والهداية .

٥. مثيرات الكفر ودوافع الإلحاد .

٦. موضوعات التدريب :

٦-١ تقدير المصلحة ، والموازنة بين الاحتياجات ، وفهم طبائع البشر .

٦-٢ تقديم الأولويات .

٦-٣ صدق الأداء الخطابى وعدم المداهنة .

٦-٤ العرض العقلى والحوار الموضوعى .

٧. وظيفة الرسل .

ثم يتكلم عن كل ملمح من الملمحين اللذَين اختارهما كما هو وارد فى المثال التالى :

الملمح الأول : - معاناة الرسول _صلى الله عليه وسلم_ مع الكافرين (الآية٣٣) :

لقد عانى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ من عناد الكافرين ولجاجهم معاناة شديدة ، انعكست آثارها عليه ، فحزن لها قلبه ، ولم يكن حزنُه إلا مظهرًا من مظاهر الرحمة بأمته التى اختصه الله تعالى بها ، وقال عنه : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " فقد كان يرجو إيمانَ الناس جميعًا ، ويشفق عليهم عواقب كفرهم ، وكان لايدخر وسعًا فى سبيل هدايتهم والتلطف معهم ، ولعل نصيبًا من الأحزان والهموم قد تسربت إليه ، تأثرًا بردود أفعال قومه معه ، فما كان يتوقع عمليًّا نفور الناس من الحق الذى أطلعه الله تعالى عليه واختصه به ، فهو رسول رب العالمين ، ومبعوث إله السموات والأرض ، الذى لاينازعه فى ملكه أحد ، ولامعبود فيهن بحق غيره ، فربما ظن النبى _ صلى الله عليه وسلم _ أن ماجاء به من حق لن ينكره أحد من الناس ، فلما صدع بما أُمر به وواجه من صلف المشركين وإعراضهم ، أثر ذلك فيه بالهموم والأحزان . وربما كان كثرةُ الكافرين وقلةُ المؤمنين فى بدايات الرسالة الإسلامية قد جعلت النبىَّ _ صلى الله عليه وسلم _ يحمِّل نفسه مسئوليةَ كفرِ الكافرين وإعراضِ المعرضين ، وربما أرجع كفرَهم وإعراضَهم إلى تقصيره فى أداء مهام الدعوة وإبلاغ الرسالة ، فيزيد عليه ذلك الشعورُ من همومه وأحزانه . وكان لابد أن ينقذه ربه من شواغل تلك الأعباء النفسية ، أعباء تنامى إحساسه الشديد بالمسئولية ، فأعلمه أولًا أن مهيجات أحزانه من أقوال الكافرين المعاندة لاتخفى على ربه ، فقال : " قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ " ، ثم أعلمه ثانيًا أن أقوالهم تلك لم تصدر عنهم تكذيبًا للنبى _ صلى الله عليه وسلم _ حقيقةً وتعبيرًا صادقًا عما فى صدورهم نحوه ، وإنما هى آثار جحودهم ومكابرتهم ، فقال : " فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ " أى أن إعراضهم عنك ليس عن تكذيب صادق منهم لك ، وفى ذلك إعلاءٌ لقيمة مأأنت عليه من صدق وما عليه دعوتك من حق ، وفيه كذلك تطييب لخاطرك ورفع للضيق الذى تشعر به ، من أن يكون كفرهم بسبب تقصيرك فى إبلاغهم على النحو الأكمل ، فلقد أبلغتَهم على أتم ما يكون الإبلاغ ونصحتَهم على أكمل ما يكون النصح ، وأما ما صدر عنهم

من تكذيب فهى بعض مظاهر جحودهم وعنادهم ، وإن كانت قد أخذت فى الظاهر شكل التكذيب .

الملمح الثانى : التسرية عن النبى _صلى الله عليه وسلم_ (الآيتان ٣٣،٣٤) :

لقد أراد الله تعالى مواساة نبيه _صلى الله عليه وسلم_ فيما أصابه ، وتسرية همومه عنه وأحزانه ، فساق ذلك له فى شكلين ؛ الأول : بيان لحقيقة ماعليه مشاعر الكافرين ، من تصديق فى الباطن ، وتكذيب ومعاندة فى الظاهر ، وهو ماسبقت الإشارة إليه آنفًا فى قوله تعالى : " فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ " ، وأما الشكل الثانى من التسرية عن النبى _صلى الله عليه وسلم_ فجاء من خلال ضرب المثل بإخوانه الذين أرسلوا من قبله إلى أمم متعددة متلاحقة على مر الأزمنة والعصور ، فواجهوا من أقوامهم جحودًا وتكذيبًا وإذاية مثل ماواجه النبى _صلى الله عليه وسلم_ من قومه ، ليكون ما وُجِه به الأنبياء من التكذيب عزاءً عن تكذيب قومه له ، ويكون فى صبر إخوانه الأنبياء دافعًا لصبره وحافزًا لرفع الحزن عنه ، فقال الله تعالى له:" وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ " ، ثم ضمّن سبحانه فى خطابه لنبيه صلى الله عليه وسلم وعده بنصره المحقق له ، الذى جعله الله تعالى وعدًا ثابتًا مضمونًا لاتبديل له ، وسنة باقية دائمة ، بقاء الخير والشر ، والحق والظلم ، وإن كان الله تعالى قد اقتضت سنته أن يبعث نصره دائمًا بعد الجهاد والصبر ، فقد حقق نصره لرسله من قبل بعد جهادهم وصبرهم ، وهو محققه لامحالة لنبيه محمد _ صلى الله عليه وسلم _ على النسق الذى تم للمرسلين من قبل ، ولقد جاء محمدًا من أنبائهم ما يهدأ له روعه ويثبت له فؤاده ، فقال له ربه : " حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ " ، فالآية الكريمة بذلك عزاءٌ يتضمن وعدًا ، أو هى وعدٌ وبشرى بالنصر قد أخذ شكل العزاء والتسرية .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا فى قوله تعالى : " قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ " ورود التعبير فى صيغة المضارع (قد نعلم) إشارة للنبى _ صلى الله عليه وسلم _ أن ما واجهه من مضايقات من قومه لن ينتهى بإخبار الله تعالى له أنه قد علمها ، وإنما هى باقية مستمرة ، فجاء التعبير بالمضارع _ إلى جانب كونه طمأنة للنبى صلى الله عليه وسلم _ جاء تأهيلًا نفسيًّا له ببقائها وعدم انقطاعها ، وذلك لايؤديه التعبير بالماضى ، الذى قد يُفهم منه انقضاؤها وعدم عودتها مرة أخرى ، لوأنه قال له مثلًا : " قد علمنا " ، بحسب ماكنا نتوقع فى مثل هذا المقام .

.....

ثانيًا : ما يتعلق بخطبة الوداع ، يختار الطالب ملمحين من الملامح الستة الآتية :

١. ملامح الخطاب فى المقدمة .
٢. ملامح الخطاب فى عرض الأحكام .
٣. الحوار الخطابى وسيلة تربوية تعليمية .
٤. ملامح الخطاب فى بيان الحدود .
٥. ملامح الخطاب فى بيان الحقوق والواجبات الزوجية .
٦. ملامح الخطاب فى تأسيس العلائق بين المؤمنين .

ثم يتكلم عن كل ملمح من الملمحين اللذَين اختارهما كما هو وارد فى المثال التالى :

. ملامح الخطاب فى المقدمة :

جاءت المقدمة مناسبة لموضوع الخطبة والغرض الذى سيقت لـــه ، فمهدت لموضوعه وهيأت الناس لاستماعه والانتباه لما تحتويه أطرافه ، وأرست قواعد المقدمات التى يجب احتذاؤها لدى الخطباء والمتكلمين ، ويمكن أن نحلل المقدمة في النقاط التالية:

- افتتحها النبى ﷺ بحمد الله تعالى وطلب العون منه (الحمد لله نحمده ونستعينه) تأسّيًا بما انتهجته سورة الفاتحة فى أدب الافتتاحيات ، أن تكون بحمد الله تعالى ، وطلب عونه وتوفيقه فيما هم مقبلون عليه ؛ هو فى البيان والشرح ، وهم فى الفهم والإدراك والعمل ، وقد جعلها النبي ﷺ ، افتتاحية جماعية (نحمده ونستعينه) وفي ذلك من البلاغة والفطنة ما لا يخفى ، فهو لا يريد أن يخص نفسه بأفضلية دون سامعيه، وإنما أراد مشاركتهم فى هذا الخير ، فحمد الله ، لنفسه ولهم ، وطلب العون لنفسه ولهم ، ليشعرهم أنه نبيهم المسئول عنهم ، الحريص عليهم ، الرؤوف بهم . ومن فوائد هذه المشاركة أنها توطد أواصر الألفة بين المتكلم ومستمعيه وتشعرهم بشفقته عليهم ولين جانبه لهم . وفي ذلك أيضًا إشارة إلى المتكلمين والخطباء ألا يختصوا أنفسهم بخير دون سامعيهم إن أرادوا استمالة القلوب إلى كلامهم ، لكى لا يبدو الخطيب بصورة من يزكى نفسه أو يرفع من مكانته الشخصية على مكانة من يتكلم فيهم .
- ثم أردف النبي ﷺ ، حمد الله وطلب العون منه ، باستغفاره والتوبة إليه ، والاستعاذة به من شرور النفس ، ومن سيئات الأعمال

(ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا) ويتضح هنا أدبه ﷺ مع ربه الذى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولكنه لا يستنكف عن إلحاق الذنوب والشرور وسيئات الأعمال بنفسه ؛ أدبًا مع الله تعالى واستكانة له ، وتعليمًا للأمة ، لكى يتأسى به من هو دونه ، وكل الخلق دونه بلا ريب ، فإذا سمع منه الناس ذلك علموا أنه لهم تدريب عملى على الاستغفار والإنابة إلى الله تعالى ، فهم أحوج منه ﷺ بطلب المغفرة والتوبة ، فتصبح الفائدة بذلك فائدة مزدوجة يفيد منها السامعون فى سلوكهم وينتهجها الخطباء فى كلامهم، وهى وسيلة تربوية جليلة تنوع ورودها فى أساليبه ﷺ .

- ثم نسب الفضل لله تعالى في الهداية فقال (من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى لـــه) وهو أسلوب لا يخلو من دعاء واستعطاف لله تعالى ألا يحرمهم هدايته وفضله ، وأن يأخذ بأيديهم إلى ما يرضيه ، وأن يصرفهم عن مواطن الزلل وأسباب الضلال ، وفي ذلك شبه قريب بما انتهجته سورة الفاتحة من طلب المؤمنين من ربهم الهداية إلى صراطه المستقيم ، وهو صراط من أنعم الله عليهم ، من أتباع اللأنبياء المخلصين ، المستجيبين لله تعالى ورسله ، غير الذين لم ينعم عليهم بهدايته فضلوا واستحقوا غضبه ، بالبعد عن أوامره وعصيان أنبيائه ونبذ أحكامه .

- ثم أردف ذلك ﷺ بالشهادتين (وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله) وأول ما يلفت النظر هنا هو قوله ﷺ : (وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله) والسياق العرفي كان يقتضى قولـــه (وأشهد أني عبد الله ورسوله) إلا أنه آثر ﷺ أن يتكلم عن نفسه بصيغة الغائب ، كأنه يفرق بذلك بين شخصيتين ؛ الأولى : شخصية محمد الخطيب المتحدث ، والأخرى : شخصية محمد النبي الرسول ، وشخصيته البشرية تؤمن بشخصيته النبوية . كما أن فى هذا المسلك التربوي من التواضع ما لا يخفى ، فهو لا يسعى لمجد شخص أو تحقيق مكاسب اعتبارية ؛ وإنما أتى لأداء رسالة إلهية وتنفيذ مهمة ربانية لا يد لـــه في اختيارها ، ظل مخلصًا لها طوال حياته ، يبذل قصاري جهده لإتمامها على الوجه الأكمل ، وجاءت خلالها أفعاله مطابقة لأقواله ، فإذا ذكر محمدٌ محمدًا فهو لا يذكره لأنه يعبر عن شخصيته ويخلد اسمه ، وإنما يذكره بوصفه نبي المسلمين ورسولهم . ورب العزة هو الذى أراد أن يقترن اسم النبى باسمه الأعلى ، فلا اختيار إذن لمحمد في هذا ، بل إنه سبحانه وتعالى جعل نطق الشهادتين معًا شرطًا أساسيًّا للإسلام ، ولا عبرة بإسلام من يقتصر على إحداهما دون الأخرى ، فكأن النبي ﷺ بنطقه الشهادتين بهذه الصيغة بين يدى خطبة الوداع يؤسس لمبادئ الإسلام وأصوله كلها ، وعلى رأسها كلمة التوحيد والشهادتان . فهما عنوان الإسلام ومظهره ، والنبي ﷺ أيضًا يريد أن يعلم أتباعه إظهار الشهادة بين يدى خطابتهم وكلامهم لإرجاع الفرع دائما إلى أصله ، والأصل أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وما عدا ذلك من أحكام الشرع والدين متفرع عنه ، ليكون ذلك تذكرة للمسلمين عند اختلافهم ، فإن اختلفوا فى كل شىء فلا ينبغي أن يختلفوا على الشهادتين ، فهى نقطة التقاء كفيلة باجتماعهم ولَمّ شملهم مرة أخرى إن كانوا صادقين فى الاجتماع والألفة ولم تتحكم فيهم أهواؤهم الشخصية .

ثم يختم النبي ﷺ ، مقدمته بوصيته للسامعين بتقوي الله (أوصيكم بتقوى الله) وتقوى الله كلمة جامعة لخلال الخير كلها ، تورث في صاحبها ميزاناً من المراقبة ، يزن به أعماله ويراقب به الله تعالى ، فأراد النبي ﷺ ، أن يظل هذا الميزان فى نفوس سامعيه تامًّا غير منقوص ولا مختل ، لأنه سيستعين به على إعداد نفسه وتهيئتها لتحمل أعباء التكاليف الواردة في الخطبة ، وسوف يستطيع من خلاله ضبط معدل تقوي الله تعالى في نفسه ، للوقوف على جوانب العجز أو التقصير فيها ، فكان من البلاغة التذكير بتقوى الله تعالى في هذا المقام ؛ لأنه مجال استعراض لأحكام الله وتكاليفه ، إذ لا جدوي من أدائها والحرص عليها بدون تقوى.

- تم أتت نصيحته الثانية ﷺ ، فى صورة حض وحث فقال (وأحثكم على طاعته) فالطاعة هى القوى الدافعة للعبد فى حياته ، والطاقة التى يستمد منها جهده على ابتلاءات الحياة ومشقة التكاليف ، استضاءة وتأثراً بما أوردته سورة الفاتحة فى هذا الصدد ، فقد تعالى : " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" أى نستعين بك ياربنا وخالقنا على ما كلفتنا به من عبادة ، فلولا عونك لما كان لنا طاقة بشىء منها ، كما أننا نستعين بك أيضًا على ابتلاءات الحياة ونوائب الزمن ، ونستعين بك على أنفسنا التى ربما تأبت على أحكامك وتفلتت من التزاماتها .

- والطاعة بهذا كما نصح بها النبى ﷺ ، ليست من جملة التكليفات التى يؤديها البعض بمشقة ؛ تأدية المغلوب المضطر، فهى تكليف من حيث الشكل وحتمية الأداء ، ولكنها صلة وقربة واستعانة في حقيقة الأمر ؛ هذا إن كان النبي الكريم يأمر مستمعيه بالطاعات الواجبة ، وقد تكون نصيحته ﷺ ، خاصة بما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من النوافل التى لم يكلف بأدائها ، وذلك أبلغ فى طلب العون وأقرب إلى مجال النصح ؛ كأن يقول لهم : استعينوا بطاعة الله تعالى والقرب منه على ما سيلقي عليكم من تكاليف دينه وشرعه ، ففي طاعته خير عون لكم.

- مما سبق عرضه من تحليل لمقدمة خطبة الوداع للنبي ﷺ ، نستطيع أن نوصل للخصائص الفنية لمقدمات الخطابة من خلال هذا النسق ، فقد وردت هذه المقدمة خير تعبير عن موضوع الخطبة والغرض الذي سيقت من أجله . ولما كانت خطبة الوداع في مجملها عرضًا عامًا

لرسالة الإسلام وتلخيصًا لتشريعاته ، فقد ناسبت المقدمة هذا الغرض مناسبة ذكية حكيمة للمساعدة على تهيئة النفس لاستقبال تلك التشريعات ، والتزامها ، والصبر على تنفيذها ، أفضل مما لو ألقيت عليهم مباشرة بلا توطئة ولا مقدمات . كما أن المقدمة موضوع مستقل من حيث ما رمت إليه من التوجيهات الخاصة والسلوك التربوي الذي يتحتم على المسلمين اتباعه في تعاملهم مع دين الله تعالى وأحكامه العليا .

- ولعل الحكمة أيضا في إيراد المقدمة على هذا النسق أن يحذو المسلمون حذوها قولاً وفعلاً ، لإعلامهم أن طبيعة الكلام غالباً تعتمد على تمهيد لـــه توطئة لموضوعه ، لتتهيأ الأسماع لاستقباله ، والأذهان لاستيعابه وفهمه ، والقلوب لفقهه والانفعال به ، فربما شرد من صلب الموضوع شيء عن المستمعين بسبب عدم استقرار مجالسهم أو التزامهم ببداية الإنصات _ لو لم تكن ثمة مقدمة _ فتأتي المقدمة ، فوق فوائدها السابقة ، لتهيئ الأذهان لاستقبال صلب الموضوع ، حتي إذا شرع المتكلم فى بيان ما يريده وما ساق خطبته من أجله ، وجد الجميع منصتين إليه غير شاردين عنه.

٢. ملامح الخطاب فى عرض الأحكام الشرعية :

سبقت الإشارة إلى أن الأحكام الواردة فى خطبة الوداع ، لم تكن بداية الحديث عنها في خطبة الوداع، وإنما كثرت أوامرها وتعددت على مدى سنى حياته ﷺ ، فى أثناء قيامه بمهمات الدعوة وأعبائها ، ولكن مجيئها فى خطبة الوداع على هذا النحو تلخيص لدعوته الكريمة وتذكير بمبادئها المهمة ، وكذلك بأوامره ﷺ ، والتى اشتملت عليها الخطبة ، ليكون أعلق شيء بأذهان المسلمين وقلوبهم ما ارتبط بآخر لقاء عام مع نبيهم وآخر كلام منه إليهم ، فهو الكلام الذى استقر أمره فلا شيء بعده سينسخه أو يغير من هيئته ؛ وبخاصة فى هذا اللقاء العام ، بعد أن دخل الناس فى دين الله أفواجًا ، واحتاج المسلمون إلى أحكام الإسلام من فم نبيهم ﷺ ، مباشرة بلا واسطة ؛ فربما عرف بعضهم الإسلام واعتنقه عن طريق بعض الصحابة وتمنى أن يعرض عليه الإسلام من صاحب الدعوة نفسه ، فلم يشأ النبي الكريم ﷺ ، أن يحرم أتباعه ، الذين لم يتمكن من دعوتهم مباشرة ، هذا الفضل ولو بصورة مجملة عامة لا تستوعب دقائق الشريعة وتفصيلاتها ، ولكنها تفى بالغرض المطلوب منها ، فكان جمعهم الحافل فى يوم حجهم الأكبر مناسبة طيبة لذلك ؛ إذ لم يكن يتصور بعد اتساع رقعة الإسلام وانتشار دعوته أن يقابل رسول الله ﷺ ، كل مسلم ومسلمة بنفسه ويعرض عليه الشرع وأحكامه ، وإنما أصبح يقوم بذلك معه سفراء الإسلام من الصحابة الأجلاء الذين أَهَّلهم النبي ﷺ ، لأداء هذا المهمة ، ورضى عن قيامهم بها ، لأنه كان يريد تدريب المسلمين عمليًّا في أثناء حياته ، على ما سيقومون به بعد وفاته من واجبات الدعوة .

.....

ثالثًا : ما يتعلق بخطابة أبى بكر الصديق ، يختار الطالب إحدى خطبه الثلاث المقررة فى الكتاب ، ثم يتكلم على ملمحين من الملامح التى وردت فى سياق التعليق العام على خطابة .